« ثمة شبح يقلق اوربا ، الا وهو شبح الشيوعية . وقد اتحدت ضده سائر قوى اوربا العجوز في (تحالف مقدس) من البابا الى القيصر ومن (مترنيخ) الى (غيزو) ومن الراديكاليين الى جواسيس البوليس في المانيا »(١٠) . هذا (التحالف المقدس) الذي يتحدث عنه البيان الشيوعي ، ضم في مجموعة جملة الفصائل الرأسمالية والبرجوازية والدينية وضمنها اليهودية ايضا ، واتحد في وجه الخطر المحدق والمشترك ، الحركات الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية .

كان اليهود يشكلون احد الاعمدة الرئيسية لهذه الحركات ، وكانت البروليتاريا اليهودية ، المضطهدة والمقهورة والمعزولة ، فصيلة اساسية من فصائل التقدم والتحرر، وهذه نتيجة منطقية وطبيعية للاضطهاد والعزلة والتمييز الذي عانت منه هذه الفئة طيلة قرون عديدة من عمرها ، وبالتالي فان اي تجميع او توحيد للطبقات الكادحة في تنظيمات تقدمية او ثورية من شأنه ان يشكل تهديداً مباشرا وخطيرا لمصالح بل ووجود الطبقات الرأسمالية والبرجوازية المسيطرة .

وهكذا « اكتشفت » البرجوازية اليهودية الكبيرة مرة اخرى ضرورة « تحرير اليهود » عن طريق « تهجيرهم » ولم يكن المقصود بالطبع — مرة اخرى — تحرير اليهودي البرجوازي ، وانما كان المقصود تهجير البروليتاري اليهودي ، وتمزيق وحدة البروليتاريا في كل مكان ممكن في اوربا ، خوفا من انصهار هذه البروليتاريا في بوتقة النضال الطبقي ضد مستغليهم المتحدين معا في بوتقة طبقة واحدة .

« لا يمكن ان يقيم الدنيا ويقعدها ضد انصهار اليهود غير اولئك اليهود الرجعيين التافهين الضيقي الافق الذين يريدون ان يعيدوا عجلة التاريخ الى الوراء ، ان يجبروها على السير ، لا من النظام القائم في روسيا وغاليسيا (حيث العزلة والانغلاق والتخلف) باتجاه النظام القائم في باريس ونيويورك (حيث الانصهار والتقدم) بل في الاتجاه المعاكس »(١١) .

وهكذا فان الذين اقاموا الدنيا واقعدوها من اجل الحفاظ على انفصال « الثقافة القومية اليهودية » وعدم تفاعلها مع الثقافات القومية الاخرى ، والذين ارعبهم شبح الشيوعية في اوروبا ، فبادروا الى عقد « تحالف مقدس » بينهم ضد كل ما هو تقدمي ، واتخذوا من شعار تحرير اليهود وهجرة البروليتاريا اليهودية ستارا يخفون تحته رعبهم الحقيقي الناجم عن انتشار الافكار والدعوات الديمقراطية والاشتراكية في صفوف البروليتاريا اليهودية بنسبة مخيفة ، هؤلاء الدعاة القوميون الصهيونيون هم انفسهم — كما يقول لينين — اعداء البروليتاريا ، انصار كل ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، وشركاء الحاخاميين والبورجوازيين .

« ان نسبة اليهود في الحركات الديمقراطية والبروليتارية تفوق في كل مكان نسبة اليهود بين السكان بوجه عام . ولذا فان كل من يتبنى مباشرة او بصورة غير مباشرة شعار «الثقافة القومية» اليهودية ، انما هو (مهما تكن نواياه حسنة) عدو البروليتاريا. ونصير ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، انما هو شريك الحاخاميين والبرجوازيين »(١٢) .

ان جميع الاسترة والحجب الكثيفة والزائفة التي حاولت البرجوازية القومية اليهودية ان تحيط بها دعوتها الى الحركة الصهيونية لا تستطيع ان تخفي اية من الحقائق التاريخية العلمية الثابتة ، كما لا تستطيع اية من هذه الحجج الصمود طويلا امام المنهج المادي التاريخي لتفسير الحوادث والمنطق الديالكتيكي لمعالجتها وفهمها . وهكذا لم يكن من الصعب على لينين العبقري ، ان يقرر منذ البدء الدعوة الى الحركة الصهيونية بأنها :